المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الإنسانية والاجتماعية والتحديات المعرفية
جامعة فردوسي مشهد 2025 CHARMO

مراعاة الجانب النفسي في نصوص أهل البيت عليهم السلام

م.د نورا حسين علي[١]

١. الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية[١]

الملخص

يروم هذا البحث بيان مراعاة الجانب النفسي في نصوص المعصومين (عليهم السلام) وأهمية هذا الموضوع، وأسبابه، والنتائج المترتبة عليه، وفلسفة هذا الأمر والدوافع التي من أجلها يسعى ديننا الحنيف إلى تأسيس هذه الثقافة في المجتمع الإسلامي وكل هذه الأمور تتحصل عن طريق جمع الأحاديث التي تحمل هذه المعاني، ثم شرحها لبيان المعاني التي تحملها ومن ثَمّ استخلاص أهم ما يمكن أن ترشد إليه لتسهم هذه الأمور في إبراز العناية الإنسانية في ثقافتنا الإسلامية والإسهام في التوعية الفكرية لنشر ثقافة المودة والتسامح والألفة في المجتمع الإسلامي.

الكلمات الدليلية: النصوص، المعصومين، الجانب النفسي.

١. المقدمة

إنّ المتطلع إلى أدبيات الدين الإسلامي الحنيف عن طريق مصادره المتمثلة بالقرآن الكريم، وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله)، ونصوص الأئمة (عليهم السلام) يجد بجلاء أنّ تعاليم الدين الإسلامي هي تعاليم حياة ولا تقتصر على التعاليم الدينية وحسب.

إذ يسعى ديننا الحنيف إلى تنظيم الحياة الاجتماعية بأسرها ولا يقتصر على بناء الفرد بوساطة وضع أسس تسهم في تمتين العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع الإسلامي بل أبناء المجتمع الواحد من المسلمين وغير المسلمين ليمثل أعلى درجات التعايش الإنساني.

فإنّ النظام الاجتماعي الإنساني، أسس منظومة قيمية واضحة المعالم، وفي كلّ تشريع من تلك المنظومة فلسفة خاصة تبين آثار تعاليم تلك المنظومة التي تستمد تعاليمها من ثقافة السماء وهذا ما يضفي عليها طابع القدسية وتنزهها عن الخطأ. والمتطلع إلى تلك المنظومة يدرك أنّ كل توجيه أمر به الفرد المسلم يحقق أبعاداً على مستوى الواقع الاجتماعي بأسره لذلك يتوجب على الإنسان المسلم اتباع تعاليم الدين الإسلامي بكل تفاصيلها صغيرة كانت أم كبيرة.

١-Email: nora.hassein@uomustansiriyah.edu.iq

ولأنّ الدين الإسلامي يسعى نشر تعاليمه وثقافته، وتشغل مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مساحة واسعة من ثقافته حدد أسساً لنجاح الخطاب الإسلامي، وزيادة تأثيره في الآخرين.

ولأجل كل ذلك اعتنى عناية واضحة بمراعاة الجانب النفسي للآخرين، واهتم بمشاعرهم، وحث المسلمين على انتهاج نهج احترام الذات الإنسانية، والتعامل الحسن مع الآخرين، والابتعاد عن السلوك الجاف؛ وذلك لفلسفة خاصة أرادها الدين الإسلامي الحنيف.

ونحن في هذا البحث نروم إثبات حقيقة هذا الأمر عن طريق استعراض مجموعة من نصوص المعصومين وقراءتها قراءة موضوعية؛ للوصول إلى المستفاد من تلك النصوص، وتحقيق الغاية الرئيسة التي لأجلها روّج المعصومون (عليهم السلام) هذه الثقافة وأكدوها بوساطة نصوصهم الشريفة.

وبذلك نسهم في نشر هذه الثقافة في أوساط المجتمع الإسلامي، ونثقف أبناء المجتمع بضرورة انتهاج هذا الطريق في التعامل فيما بيننا من جهة، ومع الآخر الذي نتواصل معه من جهة أخرى. لنكون صورة واقعية من ثقافة الدين الإسلامي الحنيف التي استطاعت في تاريخها المشرف الامتداد والتوسع في أرجاء المعمورة.

وما كان سبيل تحقيق هذا الانتشار والتوسع سوى الأخلاق الحميد والتعامل الإنساني الذي اعتمدته الثقافة الإنسانية في نشر رسالتها الغراء.

١-١. الأسئلة البحث

كيف يقدر الانسان اليوم مراعاة الجانب النفسي بنية على نصوص أهل البيت عليهم السلام؟

١-٢. فرضيات البحث

الثقافة الإسلامية تمثل منهجاً إنسانياً متكاملاً، يدقق في أدق التفاصيل، ويضع ضوابط لكل التعاملات بين أبناء المجتمع الإنساني، وفي كل تلك الضوابط نتلمس الجانب الإنساني الذي يراعى فيه خصوصيات الناس، ويحترم عواطفهم ولا يؤذي مشاعرهم، ويؤسس إلى فلسفة مفادها أنّ هذا النهج الإنساني يحقق ثماره في الحياة الدنيا قبل الآخرة، ويتسبب في تحقيق التماسك الاجتماعي داخل المجتمع الإنساني الواحد

١-٣. الإطار النظرى

وعلى وفق المنهج العلمي لابد من تقسيم البحث إذ تقسم على مقدمة تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وفلسفته وأقسام البحث، وطريقة المعالجة، ثم عرجت إلى المحاور الرئيسة التي انتظمت على وفق الأحاديث التي جمعتها كمصاديق لعنوان البحث وأمثلة له وجاءت على الآتي:

- المحور الأول: مراعاة الآخرين ومداراتهم.
- المحور الثاني: التعامل برفق مع الآخرين.

- المحور الثالث: التعايش مع المخالفين.

ومن بعد هذه المحاور جاءت خاتمة البحث، وبعدها قائمة بالمصادر التي استقيت منها مادة البحث باللغتين العربية والإنكليزية.

وقد عمدت إلى تطبيق منهج الدراسة الموضوعية ويكون ذلك على وفق آليات محددة عمدنا إلى الاشتغال عليها في هذا البحث: وبحسب خارطة عمل تبدأ من جمع الأحاديث التي تشكل العينات الأساسية لهذا البحث، ثم توظيف تطبيق أسس المنهج العلمي الخاص بتحليل الأحاديث التي تبدأ بتخريج الأحاديث، ثم الوقوف على شرحها وبيان الألفاظ الغريبة الواردة فيها انتهاء إلى بيان فقه الحديث والإشارة إلى أهم ما ترشد إليه النصوص الشريفة لبيان الثقافة التي يؤسس لها المعصومون (عليهم السلام)، والقيم الأخلاقية التي تحملها نصوصهم الشريفة، والاستعانة ـ لتحقيق ذلك ـ بكتب شرح الأحاديث، والمصادر الأخرى عالجت مضمونها؛ للخروج بالنقاط الرئيسة التي تمثل المستفاد من النص وهي الغاية الرئيسة من البحث.

ولابد من الإشارة إلى أنّ البحث اعتمد منهج الانتقاء لا منهج الاستقراء الكامل فالبحث عالج بعض الأحاديث التي تمثل الفكرة التي يعبر عنها ومؤكد أنّ هنالك أحاديث أخرى لكننا اكتفينا بالموجود؛ لأنّها أثبتت الرؤية التي نريد إثباتها وتناسبت مع حجم البحث العلمي بحسب الشروط العلمية.

وقبل الشروع بالبحث لابد من التنويه إلى مسألة جوهرية مفادها أنّ الحديث عن مراعاة الجانب النفسي يشير إلى واحد من معنيين، الأول: مراعاة جانب النفس الخاصة بالإنسان وكيفية مداراة نفسه وإدارتها. والآخر يعبر عن معنى مداراة الناس ومراعاة الجانب النفسي الخاص بهم. وفي هذا البحث الاشتغال على الجانب الثاني ومحاولة استكناه ما أطلقه المعصومون (عليهم السلام) من نصوص تعنى بمسألة أهمية مراعاة الجانب النفسي للآخرين ومداراتهم، وفلسفة هذا التوجيه، وآثاره الاجتماعية، والنتائج المترتبة على إهماله.

٢. المفاهيم الكلية

٢ـ١. مراعاة الآخرين ومداراتهم

الغالب في ثقافة الإسلام، على وفق ما جاء في تعاليمه المقدسة، ونصوصه الشريفة الحث على اعتماد المودة والمحبة والتسامح في عموم العلاقات الإنسانية في المجتمع، فذلك هو الإطار العام لطبيعة التعامل الإسلامي إذ «إن المضمون الأخلاقي للعلاقات الاجتماعية في النظرية الإسلامية هو عبارة عن الحب والود، فهي ليست مجرد علاقة شكلية فارغة أو آلية ذات مصالح ومنافع متبادلة، بل هي علاقة عاطفية شعورية؛ لأن العلاقات الاجتماعية لا تتكامل من خلال المصالح الشخصية أو العامة فحسب، وإنما تتكامل وتستحكم من خلال الحب والولاء والود بين أطرافها؛ ولا شك أن حسن الخلق والتودد والمجاملة ومداراة

الناس تُعدُّ تعبيراً عن هذا الحب، حيث تكون الخطوة الأولى المهمة في هذا الطريق، وتزيل الحواجز والمؤثرات السلبية التي تمنع وجود هذا الحب، والتعبير عنه عندما تتكامل مقوماته وعناصره الأخرى» (الحكيم -clay board.com).

ولذلك لابد من القول إنّ التعامل الحسن مع أبناء المجتمع يحقق نتائج محمودة ولا تصلح العبادة إذا كانت جوفاء من هذا المعنى واقتصر عمل الإنسان على إصلاح وضعه مع الله عزّ وجلّ من دون العناية بمسألة التعامل الحسن مع أبناء المجتمع ومؤكد أنّ في هذا التوجه فلسفة معينة، ويجني من ورائه ثمار مهمة، ويجنب الإنسان جملة من النتائج السلبية أبرزها احترام مشاعر الآخرين، ومراعاة الجانب النفسي الخاص بهم.

وقد وردت جملة من النصوص الواردة عن المعصومين تحث المسلمين على مدارة الناس، وحسن معاملتهم لما لذلك من آثار اجتماعية على الفرد والجماعة إذ يحقق هذا النوع من التعامل مجتمعاً مستقراً قادراً على الارتقاء والتطور والإبداع والتعاون من أجل السمو بكل تفاصيله.

ومن النصوص الواردة في هذا المضمون:

١. ما جاء عن «أَبِي عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَمَرَنِي رَبِّي بِمُدَارَاةِ النَّاسِ كَمَا أَمَرَنِي بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ١١٧/٢).

وقبل أنْ نبدأ بشرح الحديث واستكناه مضمونه، وفلسفته، وآثار ما يأمر به لابد من الوقوف على بيان الكلمات التي تحتاج بياناً لمعناها وربما لا يوجد في هذا الحديث سوى كلمة (المداراة) التي نجد من الضروري تعريفها وذكر ما قاله أصحاب المعجمات عنها.

فقد قال ابن منظور عن المُداراةُ هي: «مَصدَرُ دارى، يقالُ: داريتُه مُداراةً: لاطَفْتُه ولاينْتُه، ومُداراةُ النَّاسِ: أي: ملاينتُهم وحُسنُ صُحبتِهم واحتِمالُهم؛ لئلَّا يَنفِروا عنك»(ابن‌منظور، ١٤١٤هـ، ١٤/ ٢٥٤).

وعُدّت المدارة من الصفات الحميدة في الشخصية الإنسانية، ومن الخصال الحميدة التي يحمد الإنسان لأجلها إذ قال عنها النراقي «(المداراة): قريب من الرفق معنى، لأنها ملائمة الناس، وحسن صحبتهم، واحتمال أذاهم، وربما فرق بينهما باعتبار تحمل الأذى في المداراة دون الرفق، وقد ورد في مدحها وفوائدها الدنيوية والأخروية أخبار كثيرة» (النراقي، د.ت، ٣٤١/١).

وحقيقة الأمر إنّ كلمة المداراة تحمل ثقافة عامة، وسلوكاً متكاملاً في التعامل إذ إنّ «مداراة الناس هي حسن صحبتهم، وعدم مجابهتهم بما يكرهون، وحيث إن عقول الناس مختلفة ومتفاوتة فمداراة الناس أن تتعامل معهم على قدر عقولهم أيضاً. والمداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، وترك الإغلاظ لهم في القول.» (المركز الإسلامي للتبليغ، almenbar.org). وهذا يعني أنّها تكتنز أكثر من مدلول، وتشير

إلى أكثر من معنى فتمثل في هذه اللفظة دلالة: حسن الصحبة، والتلطف في نصح الآخرين وعدم جرح مشاعرهم بمواجهتم بعيوبهم؛ إذ إنّ الإسلام الحنيف يختط لنا وسائل في النصح، والتصحيح يراعى في ذلك مشاعر الآخرين، وعدم المساس بهم، فضلاً عن ذلك تدل لفظة المداراة على التعامل الإنساني مع الناس وعدم انتهاج نهج الغلظة في التعامل لما لهذه الطريقة من التعامل من آثار نفسية سلبية على الطرف الذي نتعامل معه.

فقد أشار المازندراني إلى أنّ «من جملة المداراة والملاطفة استجلاب طبائعهم إلى الحق وتأنيسهم به بالحكمة والموعظة الحسنة قليلا قليلا على سبيل التلطف لا دفعة لئلا تشمئز عنه قلوبهم ولا يتنفر عنه طباعهم ولو لم يمكن تأنيسهم به إما لغموضه بالنسبة إلى أفهامهم أو لقوة اعتقادهم الباطل ينبغي أن يحملهم عليه بالحيل والتدبير والمقدمات الخطابية حتى يرجعوا من الجهل المركب إلى الجهل البسيط ثم يداويه» (المازندراني، ١٤٢٤هـ، ٨/٣٢٢).

وربما يعني ذلك إن انتهاج منهج المدارة يعدّ وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية التي تتطلب صبراً، واعتماد وسائل جذب لتحقيق الغاية المنشودة من إيصال الأفكار الإسلامية إلى عموم الخليقة، ومحاولة استبدال الفكر المستقر في نفوسهم بتعاليم الإسلام الرشيدة فـ«من مصاديق المداراة مراعاة الدوافع النفسية والعاطفية للانحراف، وأجواء المنحرف الاجتماعية ولذا كان أهل البيت (عليهم السلام) يراعون الضعف البشري عند أصحابهم وعند مخالفيهم ويقابلونه بالمداراة؛ لأنها الكفيلة بتحقيق الأهداف المتوخاة من التربية (العذاري، د. ت، ٧٢).

والمداراة من أهم وسائل تحقيق هذا الهدف. ويبدو أنّ في الدعوة إلى المداراة فلسفة خاصة إذ «أودع الله تعالى في بني الإنسان تمايزاً وتبايناً في المزاج والطباع والفهم والإدراك. وبذلك سهّل على المتميّز منهم سلوك سبيل المداراة ولين الكلمة لتسهيل سبل المعاملة والعيش المتبادل. ولما كانت العلاقات الاجتماعية بين الناس يطبعها أُسلوب التعاون والتآزر فإن ممارسة "المداراة" أمر طبيعي يفرضه السلوك الأخلاقي الذي يمارسه الإنسان مع أخيه الإنسان» (المركز الإسلامي للتبليغ، almenbar.org).

فهذا السلوك الاجتماعي يضع في أولوياته أنّ بني البشر لا يتساوون في عقولهم، ولا في طبائعهم. وهذا التنوع يفرض هذا النوع من التعامل الذي يهتم بالجانب النفسي للمتلقي ويسعى إلى تحقيق الغاية المنشودة من التماسك الاجتماعي بين أبناء المجتمع.

ولعلّ الدين الإسلامي الذي فرض خصلة خفض الجناح من جانب، وفرض القوة من جانب آخر تناسب معه سلوك المداراة الذي يحافظ على الأمرين من دون التنازل عن أحدهما وهذا ما جاء في شرح مضمون

هذا الحديث وبيان أنّ المقصود هو: «أمرني بملاطفتهم قولا وفعلا والرفق بهم وتآلفهم ليدخل من يدخل منهم في الدين ويتقي المسلمون شر من قدر عليه الشقاء ومن ثم قال حكيم: هذا الأمر لا يصلحه إلا لين من غير ضعف وشدة من غير عنف وهذه هي المداراة» (المناوي، د.ت، ٢/٢١٥).

ويبدو أنّ سلوك المداراة غير مقتصر على أبناء الدين الإسلامي، بل يكون ذلك معهم ومع الآخر المختلف وفي ذلك فلسفة أيضاً إذ جاء الترغيب بالمداراة «مع الاعداء والملاطفة والملاينة معهم سواء كانت العداوة في الدين أو الدنيا مثل الحقد والحسد وغيرهما؛ لأن المداراة من جملة التدبيرات في دفع العداوة، ومن ثم قيل قمع الشر بالخير خير وبالشر شر ونهى عن المكاشفة بالسب والمخاصمة والمجادلة معهم فإن ذلك كثيرا ما يفضى إلى المعاملة بالمثل وسبهم لله تعالى أي لأوليائه كما دل عليه بعض الروايات وضياع الأموال وهلاك النفوس إلى غير ذلك من المفاسد الكلية والجزئية فيتبدد به نظام العالم وصلاح بنى آدم خصوصا صلاح أولياء الله تعالى. هذا بحسب الظاهر، وأما بحسب الباطن فينبغى أن يتفكر فيما يدفع به عداوته و كيده بقدر الإمكان على ما تقتضيه الحكمة بحيث لا يكون مهيجا للشر والعداوة، وفيه دلالة على أن السبب للفعل كالفاعل له» (المازندراني، ١٤٢٤هـ، ٨/٣٢٢).

وهنا يبين المازندراني أهمية استعمال منهج المداراة مع الأعداء وفوائده في أنّها الوسيلة المثلى لدفع العداوة عن المسلمين، ودفع المآرب السيئة عن أبناء المجتمع الإسلامي بهذه الوسيلة النفسية المثمرة التي تستطيع الحفاظ على الأمة الإسلامية وتمنحها حرية التحرك والدعوة، وتسهم في إطفاء نار الفتنة والصراعات التي تضيع الآمال المنشودة وتنشر العداوة والبغضاء بين أبناء المجتمع.

في حين جعل المجلسي الأمر بمداراة الأعداء واحداً من احتمالين، ولم يقطع به فقال: «المداراة إما مخصوصة بالمؤمنين أو تعم المشركين أيضا مع عدم الاضطرار إلى المقابلة والمحاربة كما كان دأبه (ص) فإنه كان يداريهم ما أمكن فإذا لم يكن ينفع الوعظ والمداراة كان يقاتلهم ليسلموا وبعد الظفر عليهم أيضا كان يعفو ويصفح ولا ينتقم منهم ويحتمل أن يكون ذلك قبل أن يؤمر(صلى الله عليه وآله) بالجهاد» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٧٢/٤٣٨). وفي هذا الكلام إشارة إلى أنّ المرحلة الأولى في التعامل مع المخالفين هي مرحلة المداراة، والدفع بالتي هي أحسن، والدعوة بالموعظة، والكلمة الطيبة. إلا أنّ هذا كله لا يمنع من استعمال القوة في حال لم تنفع هذه السبل، ولم تحقق الغاية المرجوة من هذا السلوك. ويفسر هذا التفصيل فكرة أنّ الإسلام يدعو إلى شخصية مؤمنة قوية تتعامل بالمداراة في المرحلة الأولى لكنّها ليست عاجزة عن المواجهة وتوظيف القوة عند الحاجة.

وسواء أكانت مع المخالفين أو مع أبناء مجتمعنا الإسلامي فهي سلوك يدر على متبنيه الخير والنجاح، ودليل أهمية هذا السلوك الاجتماعي، وجدواه في بناء المجتمع، وإسهامه في نشر مبادئ الدين الحنيف،

وتحقيق الأهداف الإسلامية السامية مساواته ـ بحسب ما جاء في الحديث الشريف ـ بالفرائض التي تمثل معالم الدين الإسلامي بأسره. وقد وضع المجلسي احتمالين لمدلول الفرائض الواردة في الحديث إذ قال: «لأن في حمزة كلام "بأداء الفرائض" أي الصلوات الخمس أو كلما أمر به في القرآن» (المجلسي، ١٤٠٤هـ، ٢٢٨/٨).

وهذا يعني أنّ مدلول لفظة الفرائض الواردة في الحديث تتجه صوب عمومية الدلالة ويكون المقصود بها كل الفرائض التي فرضت على المسلمين في كتاب الله العزيز، أو يكون المراد بها المرحلة المتطورة من دلالة هذه اللفظة مقتصرة على الصلوات الخمس اليومية.

وكلا الأمرين يحمل من الأهمية ما يوشي بأهمية المداراة في التعامل التي أمرنا بها نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله) نقلاً عن أمر الله عزّ وجل بانتهاجها سلوكاً نبوياً إسلامياً.

٢. ولهذا عد الإمام علي (عليه السلام): «المداراة أحمد الخلال» (الآمدي، ٧٠).

ويبدو أنّ مضمون قول الإمام علي (عليه السلام) يشير إلى جعل هذه الخصلة الإنسانية في مقدمة الصفات المحمودة في شخصية الإنسان. وذلك لأهميتها، ومقدار تأثيرها في مراعاة الجانب النفسي للآخرين، وإسهامها في بناء مجتمع إنساني تسوده المحبة والوئام. ويكون قادراً على الإبداع والتألق.

فجع هذه الخصلة من الخصال النبيلة على اعتبار أنّ الخلال تعني الخصال فـ «والخِلَالُ أيضا الخصال جمع خَلَّةٍ مثل الخصلة» (الطريحي: ٣٦٥/٥).

واقترنت في قول الإمام (عليه السلام) بالحمد؛ لذلك عدت من الخصال الحسنة وجاء في بعض المعجمات أنّ دلالتها الخصلة الحسنة فـ«الخَلَّةُ: الخَصْلَةُ تكونُ في الرجُلِ، يقالُ: في فلانٍ خَلَّةٌ حَسَنَةٌ، قالَهُ ابنُ دُرَيْدٍ، وكأَنَّه إِنَّما ذَهَبَ بها إِلى الخَصْلَةِ الحَسَنَةِ خاصَّةً، ويجُوزُ أَنْ يكونَ مَثَّل بالحَسَنَةِ لمكانِ فَضْلِها على السَّمِجةِ» (الزبيدي، ١٤١٤هـ، ٢٠٨/١٤)

وعلى وفق ما مرّ اتضح أنّ «مداراة أفراد المجتمع المتعددين في كل جوانب الشخصية من أولويات العمل، والفعالية في أوساطهم لإصلاحهم وتربيتهم لهذا جاءت الروايات لتؤكد على هذه الظاهرة الجميلة» (العذاري، د.ت، ٧٠).

وبعد استعراض دلالة الحديث الشريف وبيان معاني ما ورد فيه، والاستعانة بشراح الحديث وبعض من عالج هذا الموضوع نصل إلى أهم ما يرشد إليه النص الشريف وهي على النحو الآتي:

١. ضرورة اعتماد الألفة والمحبة في التعامل مع أبناء المجتمع.

٢. ضرورة احترام التنوع الإنساني وإدراك أنّ أبناء المجتمع غير متساويين في وعيهم، وثقافتهم، وهذا يتطلب الصبر والتدرج في الدعوة.

٣. من الضروري لمن يريد التغيير مراعاة الجوانب النفسية لمن نريد تغييرهم، وأسباب وضعهم حتى يتسنى لنى وضع آليات دقيقة وناجعة لدعوتهم.

٤. اعتماد الألفة والمحبة غير مقتصرة على المسلمين ولابد من اعتمادها مع الآخر أيضاً.

٥. اعتماد مبدأ الإحسان ابتداء مع الآخر وسيلة ناجعة تحقق منافع جمة لأبناء المجتمع الإسلامي.

٢-٢. الرفق في التعامل

يبدو أنّ الثقافة الإسلامية بنيت على أساس التعامل الحسن، ونشر المودة بين أبناء المجتمع، واحترام مشاعر الآخرين، واتخاذ المنهج اليسير وعدم الخشونة في التعامل. ولعلّ انتشار هذه الثقافة واعتمادها كمنهج في ثقافتنا الإسلامية متأتٍ من جدواها في المشروع الرسالي، ونفعها في تحقيق المراد من الدعوة إذ انجبلت النفوس على محبة الرفق في التعامل والاستجابة للأسلوب اللين في الدعوة، وقد أثبت الواقع الاجتماعي صلاحية هذا السلوك ونفعه.

لذا نجد جملة من أحاديث النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونصوص المعصومين (عليهم السلام) تركز على هذه الثقافة، وتحث على اعتمادها في التعامل بين أبناء المجتمع، وتشير في الوقت ذاته إلى أهمية هذا السلوك، ومنافعه.

ظ إذ ورد عن «عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، مُدَارَاةُ النَّاسِ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَ الرِّفْقُ بِهِمْ نِصْفُ الْعَيْشِ» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ١١٧/٢).

ولأننا تناولنا موضوع الرفق في الحديث السابق، وبيّنا معناه في معجمات اللغة، سنركز حديثنا في هذا الحديث على موضوع الرفق في التعامل، وأهميته، وفلسفة الحث عليه، والجدوى منه. فالواضح من عرض الحديث أنّ المعاملة بالحسنى مع أبناء المجتمع من أولويات الثقافة الإسلامية لما لها من آثار اجتماعية ونفسية لذلك جاء التركيز على هذا الجانب، والحث عليه لتأسيس منهج واضح المعالم من التعامل الإنساني بين أفراد المجتمع الواحد. وقبل ذلك لابد من الوقوف على معنى هذه اللفظة وبيان معناها.

إذ جاء في معجم لسان العرب «الرِّفْق:ضد العنْف. رَفَق بالأَمر وله وعليه يَرْفُق رِفْقاً ورَفُقَ يَرْفُقُ ورَفِقَ: لطَفَ. ورفَقَ بالرجل وأَرْفَقه بمعنى. وكذلك تَرَفَّق به» (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ١١٨/١٠) وعرفه الطريحي بأنّه:«والرِّفْقُ: لين الجانب وهو خلاف العنف» (الطريحي، ١٤١٧هـ، ١٧١/٥) وبيّن الزبيدي أنّ «الرِّفْقُ: اللُّطْفُ والمتحق هو ضِدُّ العُنْف» (الزبيدي، ١٤١٤هـ، ١٦٧/١٣).

وقد عمد شرّاح الحديث إلى إيجاز فكرة الرفق، ومعناها في أنّ «الرفق الإحسان إليهم وحسن معاشرتهم» (المجلسي، ١٤٠٤هـ، ٢٢٨/٨). لذلك نجد أنّ الحديث عبر عن هذا السلوك بنصف العيش على اعتبار أنّ هذا السلوك له مساحة كبيرة من حياة الإنسان. ولعل ذلك متأتٍ من مقدار الاستقرار النفسي المتحقق من هذا النهج، وقدرته على استبعاد المشاكل الاجتماعية التي تسبب في تنغص العيش، وتضيع جماليته، ورونقه، وتزيل بهاءه، وتشغل الإنسان عن إكمال مستلزماته، وتحقيق أهدافه.

وهنالك فلسفة عرضها شراح الحديث تبيّن أهمية الرفق مفادها أن الحياة الكريمة تتحقق بأسباب، وتزول حين تواجه الإنسان عقبات هذا الوجود وهذا ما عبّر عنه المازندراني في قوله: «العيش يتحقق بوجود أسبابه ورفع موانعه ورفع الموانع يتحقق بالرفق ولين الجانب ورفض العنف إذ لو لا الرفق لتحقق موانع العيش من وجوه متكثرة وفسد نظامه فالرفق نصفه» (المازندراني، ١٤٢٤هـ، ٣٢٣/٨). وفي هذا الحديث إشارة واضحة إلى أنّ العنف يضيع الحياة، ويتسبب في ولادة موانع العيش، لأنّه الطريق الذي يفسد جميع مفاصل الحياة، وينغص العيش ويشغل الإنسان بقضايا كثيرة تبعده عن السعي نحو ما يخطط له، لذلك فإنّ العنف السبب الرئيس في ضياع قيمة الحياة، وكذلك هو من أهم أسباب التفكك الاجتماعي الذي يتولد عنه مجتمع هزيل غير قادر على مواجهة الحياة، والارتقاء، والتقدم، لأنّه ببساطة فاقد للاستقرار، ويخلو من الانسجام، والألفة بين أبنائه.

ويبدو أنّ المجلسي يضيف على فقرة الإصلاح الاجتماعي، ونفع انتهاج سلوك الرفق بالآخرين في تنظيم الحياة الاجتماعية مسألة أخرى تتمثل في طاعة الله عزّ وجلّ الذي ركّز على هذا الأمر في أكثر من محفل وفي أكثر من موقع ولعل المراد بهذا الأمر النصوص الواردة في القرآن الكريم الآمرة بهذا السلوك، فضلاً عن الأحاديث النبوية الشريفة، ونصوص المعصومين (عليهم السلام) (المجلسي، ١٤٠٤هـ، ٢٢٨/٨ ـ ٢٢٩).

وفي المضمون ذاته ورد حديث آخر يتحدث عن أهمية الرفق، وجدواه في التعامل الاجتماعي والمنافع الذي تجنى من انتشاره كسلوك اجتماعي بين أبناء المجتمع.

٢. إذ جاء عن «عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يُوضَعْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَه» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ١١٩/٢).

وفي المقابلة الواردة في هذا الحديث الشريف إشارة واضحة إلى أثر الرفق وأهمية وجوده، وكذلك بيان واضح لما يؤول إليه الأمر حين نغادر هذا النوع من الثقافة، وقد جاء هذا التوضيح عن طريق (لم يوضع على شيء

إلا زانه) (ولا نزع من شيء إلا شانه). ولأنّها مرتكز الحديث ويتجسد فيهما القيمة المعرفية لما يشير إليه لابد من بيان معناهما وما قيل عنهما في المعجمات العربية.

إذ قال الفيومي «زَانَ الشَّيْءُ صَاحِبَهُ زَيْنًا مِنْ بَابِ سَارَ، وَأَزَانَهُ إزَانَةً مِثْلُهُ، وَالِاسْمُ الزِّينَةُ، وَزَيَّنْتُهُ تَزْيِينًا مِثْلُهُ وَالزَّيْنُ نَقِيضُ الشَّيْنِ» (الفيومي، د.ت، ٢٦١/١).

وقد أوضح المازندراني مدلول هاتين اللفظتين، والمراد منهما في هذا الحديث الشريف في قوله: «زانه من باب سار وزينه بمعنى والاسم الزينة والزين نقيض الشين وشانه من باب باع شينا عابه» (المازندراني، ١٤٢٤هـ، ٣٢٨/٨). فترك الرفق في تعاملاتنا مؤد إلى اتصاف تلك الأعمال بالعيب، ووجوده يغلف تلك الأعمال بالزينة والصلاح وفي التركيز على هذا المعنى عن طريق هذا الوصف حث للأمة على انتهاج هذا النهج في تعاملها، واستعمال الرفق في معاملاتنا مع الآخرين.

لأنّ ترك الرفق يشين أعمالنا «أي يعيبه و يقبحه» (العاملي، ١٤٠٩هـ، ٢٢٠).

ومعنى ذلك إنّ الدين الإسلامي يركز على التعامل الإنساني داخل المجتمع، والتدين لا يعني الالتزام بالأحكام الشرعية، وأداء الفرائض، وتطبيق الأحكام بمعزل عن تحديد السمات التي يجب أن يتحلى بها المسلم؛ لذلك نجد الثقافة الإسلامية تمثل مشروعاً إنسانياً، ويؤكد ضرورة التحلي بالأخلاق الحسنة. وفي ذلك دلالة واضحة على أنّ السلوك الحسن والتعامل الأخلاقي والرفق مع الآخرين، ومراعاة مشاعرهم، من أهم علامات الإيمان.

وقد جاء في حديث آخر دلالة أخرى تعبر عن ثمار الرفق وما يجنيه الإنسان المسلم حين يعتمد هذا السلوك كثقافة في تعامله مع الآخرين إذ ورد «عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْمِقْدَامِ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: إِنَّ فِي الرِّفْقِ الزِّيَادَةَ وَ الْبَرَكَةَ وَ مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ» (الكافي، ١٤٠٧هـ، ١٩٩/٢).

وبيّن المجلسي المراد من هذا الحديث في قوله: «بيان إن في الرفق الزيادة أي في الرزق أو في جميع الخيرات والبركة والثبات فيها ومن يحرم الرفق على بناء المجهول أي منع منه ولم يوفق له حرم خيرات الدنيا والآخرة.» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٦٠/٧٢). وفي حديثه توجيه نحو أنّ الرفق هو الطريق المؤدي إلى الخير والحصول على البركات وثباتهما وخلاف ذلك طريق مؤد إلى ضياعهما. فجُعل الرفق مصدر الحصول على الخير والبركات، وعدم الرفق سبب ضياعهما.

وليس ذلك وحسب بل إنّ الرفق سبب من أسباب نجاح الإنسان في حصوله على مبتغاه.

٣. فقد قال الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس» (الكليني، ١٤٠٧هـ ٢/١٢٠).

وفلسفة ذلك، وسببه «لأن رفقه بهم يوجب ميل القلوب إليه والتألف والتودد بينهم وله مدخل عظيم لنيل المقصود منهم» (المازندراني، ١٤٢٤هـ، ٨/٣٣٠). فلا شيء أسرع إلى قلوب الناس، وأسر عواطفهم، ونيل محبتهم واحترامهم ومنه الحصول على ما تطلبه منهم أكثر من التعامل الحسن والكلمة الطيبة.

وهذا الأمر مصاديقه أكثر من جانب من جوانب الحياة، ومن أهمها الدعوة إلى الدين، وتعاليمه، وأفكاره وأخلاقياته. إذ لابد لمن يريد تولي هذه المسؤولية أنْ يتحلى بالرفق في تعامله وحواره مع الناس؛ والسبب من وراء ذلك إنّ «من طبيعة الإنسان أنّه يأنس بآرائه وأفكاره ومواقفه، ويحرص على عدم المساس بها لأنها جزء من شخصيته، ويرى فيها كرامته وكبرياءه ووجوده، فينبغي لمن يريد أن يتحرك في وسط المجتمع ليربيه أو يصلحه أن يتعامل برفق مع الناس سواء في تخطئة آرائهم وأفكارهم ومواقفهم أو تبيان صحة المفاهيم والقيم المراد تقريرها في نفوسهم وواقعهم. والرفق صفة محببة لدى الناس وبها تتيسر الصعاب وتسهل الأمور، ويتفاعل الناس مع المربي والمبلّغ والداعية إلى الله» (العذاري، د.ت، ٧٢ ـ ٧٣). لذلك من الضروري أن يدرك الدعاة، ومن يتحملون مسؤولية نشر تعاليم الدين الإسلامي بضرورة اعتماد هذا السلوك في مسيرتهم إذا أرادوا أن يكتب لها النجاح، وتحقق الغاية المرتسمة لها. وهذا الأمر لم يكن قواعد تحفظ بل أثبتت مسيرة الحياة الإنسانية صحة هذا الادعاء وجدواه، إذ إنّ «التجربة شاهدة بأن إمضاء الأمور وإنجاح المقاصد موقوف على الرفق واللين مع الخلائق. فكل ملك كان رفيقاً بجنده ورعيته انتظم أمره ودام ملكه، وإن كان فظاً غليظاً اختل أمره وانفض الناس من حوله، وزال ملكه وسلطانه في أسرع زمان. وقِسْ عليه غيره من طبقات الناس من العلماء والأمراء وغيرهما، من ذوي المناصب الجليلة، وأرباب المعاملة والمكاسبة، وأصحاب الصنايع والحرف» (بقية الله، (إلكتروني) ٦/٦٦).

لذلك حري بنا الإفادة من هذه التجارب، وعدم الخروج عن دائرة هذا التوجيه في جميع تعاملاتنا، وفي كل مفاصل الحياة.

ومما مرّ وبعد عرض الأحاديث التي بيّنت أهمية اعتماد الرفق في تعاملنا لابد من الإشارة إلى أهم ما ترشد إليه النصوص الشريفة التي عالجها البحث في هذا المحور وهي على النحو الآتي:

١. ضرورة التحلي بالرفق في تعاملاتنا لأنّ ذلك يمثل أخلاق ديننا الحنيف.

٢. ومن الضروري أن يكون الإنسان المسلم صورة صادقة لتعاليم الدين الحنيف.

٣. الرفق يضيف على أعمالنا رونقاً وبهاء وانعدامه يضفي عليها سمة التشويه والعيب.

٤. من الضروري أن يتشبث الدعاة بالرفق في دعوتهم، لأنّه الوسيلة المثلى لنزع الأفكار من عقول الناس واستبدالها بالأفكار الإسلامية الرشيدة.

٥. لابد من اعتماد منهج الرفق في كل مناحي الحياة، لأنّه سبب من أهم أسباب نجاح الإنسان في كل مفاصل حياته.

٢-٣. التعايش مع المخالفين

الطبيعة الإنسانية تفرض أنْ يكون أبناء المجتمع الواحد مختلفين وليسوا على صورة واحدة. في الشكل، والعقيدة والثقافة، والانتماء القبلي وغير ذلك. وهذا الأمر لم يكن غائباً عن الثقافة الإسلامية التي حددت ملامح للتعايش مع الآخر داخل المجتمع الواحد، وفرضت سلوكاً خاصاً يتعاطى معه الإنسان المسلم الذي يعيش مع غيره يحفظ كرامة الجميع ولا يمس عواطف الناس المتفقين أو المخالفين، وفرضت ضوابط يعتمدها المسلمون في التعامل مع الآخر. وحثّت على عدم مخالفة تلك الضوابط لكي لا يسيء المسلمون إلى سمعة الدين الإسلامي الحنيف. وقد ورد عدد من الأحاديث الشريفة ونصوص المعصومين تعبر عن هذا المعنى. ومن ذلك:

١. ما جاء عن «مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ هِشَامٍ الْكِنْدِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا عَمَلًا يُعَيِّرُونَّا بِهِ فَإِنَّ وَلَدَ السَّوْءِ يُعَيَّرُ وَالِدُهُ بِعَمَلِهِ كُونُوا لِمَنِ انْقَطَعْتُمْ إِلَيْهِ زَيْناً وَ لَا تَكُونُوا عَلَيْهِ شَيْناً صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِمْ وَعُودُوا مَرْضَاهُمْ وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ وَلَا يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْهُمْ وَاللَّهِ مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْخَبْءِ قُلْتُ وَمَا الْخَبْءُ قَالَ التَّقِيَّةُ» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ٢/٢١٩).

وقبل الشروع ببيان المعنى الخاص بهذا الحديث، وأهم ما ورد فيه ومدلوله وما يشير إليه لابد من بيان معنى بعض الألفاظ التي تضمنها، ومنها:

لفظة يُعيّر وتعني التَّنَابُزُ: التَّعَايُرُ؛ وهو أَن يُلَقِّبَ بَعضُهُم بَعضاً بما يُعَيِّرُه به، وبه فُسِّرَ قَولُه تعالَى: {وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ}(سورة الحجرات:١١) أَي لا تُعَايرُوا بها بعضَكم بعضاً بما تَكْرَهُون، بل يجبُ أَن يُخَاطَبَ المُؤْمِنُ بأَحَبِّ الأَسماءِ إِليه) (الزبيدي، ١٤١٤هـ، ٨/١٥٤) وقيل «والعارُ: السُّبَّة والعَيْبُ. و قِيلَ: هو كُلُّ شَيْءٍ لَزِمَ به سُبَّةٌ أَو عَيْبٌ، والجمع أَعْيَارٍ، ويُقَال: فلانٌ ظاهِرُ الأَعْيَارِ، أَي العُيُوب... وتَعَايَرُوا: عَيَّر بَعْضُهم بَعْضاً قال أَبو زَيْد: يُقَال: هُما يَتَعَايَبَان ويَتَعَايَران، فالتَّعَايُر: التَّسَابُّ، والتَّعَايُبُ دُونَ التَّعَايُرِ، إِذا عابَ بَعْضُهم بَعْضاً» (الزبيدي، ١٤١٤هـ، ٧/٢٨٢)

وهذا يعني أن التعاير هو إلصاق الصفات المذمومة بشخص أو مجموعة، والانتقاص منهم بسبب وجودها فيهم وذكرها بين الناس لاستصغار شأنهم. لذلك حث ديننا الحنيف على تجنب المسلمين ممارسة أي سلوك يكون سبة عليهم وسببا يعيرون به من قبل غيرهم. وفي ذلك مراعاة لما للسباب من آثار نفسية على شخصية الفرد، إذ يكسبه الهوان والشعور بالدونية والرفض الاجتماعي. ويتولد عن ذلك حالة نفسية تضعف الإنسان وتقلل عزيمته وتشعره باليأس والقنوط.

أمّا كلمة زيْناً: «قالَ الأَزْهرِيُّ: سَمِعْتُ صَبيًّا مِن بَني عُقَيْلٍ يقولُ لآخَر: وجْهِي زَيْنٌ و وَجْهُك شَيْنٌ، أَرادَ أَنَّه صَبِيحُ الوجْهِ، وأَنَّ الآخَرَ قَبِيحُه، والتَّقديرُ: وَجْهِي ذُو زَيْنٍ ووَجْهُك ذُو شَيْن» (الزبيدي: ٢٦٨/١٨).

وكذلك «زَانَ الشيءُ صاحبَه زَيْناً من باب سار وأَزَانَهُ إِزَانَةً مثله، والاسم: الزِّينَةُ، ومنه الدُّعَاءُ فِي صَلَاةِ الِاسْتِسْقَاءِ" وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا فِي أَرْضِنَا زِينَتَهَا" أي نباتها الذي يُزَيِّنُهَا. والزَّيْنُ: نقيض الشَّيْنِ» (الطريحي، ١٤١٧ هـ، ٢٦٢/٦)

أمّا شيناً، فإنّ «الشَّيْنُ: معروف خلاف الزَّيْن، وقد شانَهُ يَشِينُه شَيْناً. قال أَبو منصور: والعرب تقول وجه فلان زَيْنٌ أَي حسن ذو زَيْنٍ، ووجه فلان شَيْنٌ أَي قبيح ذو شَيْنٍ. الفراء: العَيْنُ والشَّيْنُ والشَّنَارُ العَيْب» (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٢٤٤/١٣).

ومن الألفاظ الواردة في الحديث وبها حاجة للتعريف كلمة عشائرهم: «و(الْعَشِيرَةُ) الْقَبِيلَةُ وَلَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا والْجَمْعُ (عَشِيرَاتٌ) و(عَشَائِرُ)» (الفيومي، د.ت، ٤١١/٢).

وكذلك الخبء، وتعني: «التقية والاستتار، يقال:" خَبَأْتُ الشيء خَبْأً" من باب نفع: سترته. ومنه "الْخَابِيَةُ" وتركت الهمزة تخفيفا، وربما همزت على الأصل، وخَبَّأْتُهُ" حفظته، والتشديد مبالغة. والْخَبَاءُ: اسم لما خُبِئَ وستر» (الطريحي، ١٤١٧هـ، ١١٩/١).

وقد عمد المعصوم إلى إيصال فكرة الحديث بطريقة تراعي شعور المتلقي لها إذ جاء نص الحديث الوارد بصيغة «خبر بمعنى النهى أي لا يغلبوكم على فعل شيء من الخير فإنكم أولى بالخير منهم لأنكم أهل الخير وهو ينفعكم. والخبء والاخفاء والستر تقول: خبأت الشيء خبأ من باب منع أخفيته وسترته، والمراد به هنا التقية فيها لأن إخفاء الحق إستاره» (المازندراني، ١٤٢٤هـ، ١١٥/٩) وفي هذا النهي دفع للمسلمين إلى الإسراع باقتراف الأعمال الخيرية التي تجلب لهم ولدينهم السمعة والمكانة الطيبة، فضلاً عن النفع المادي لتلك الأعمال. وفي نهاية الحديث توجيه بستر أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله وهذا يحمل أكثر من معنى وممكن أن يفسر بأكثر من تفسير. لكنّ معظم وجوه تفسيرها لا تبتعد عن فكرة عدم الإفصاح بخصوصية

عبادتنا، وهويتنا، وثقافتنا، وما نعتقد به أمام الآخر. وقد يكون ذلك لاحترام مشاعره من جانب وهذا متأت من مراعاة الجانب النفسي للآخر، أو دفع الضرر عن المسلمين لأسباب كثيرة.

وهنالك توجيه آخر في هذا الحديث في عبارة صلوا في عشائرهم التي فسرها المجلسي بقوله: «(صلوا في عشائرهم) يمكن أن يقرأ صلوا بالتشديد من الصلاة، وبالتخفيف من الصلة أي صلوا المخالفين مع عشائرهم، أي كما يصلهم عن عشائرهم، وقيل: أي إذا كانوا عشائركم والضمائر للمخالفين بقرينة المقام وفي بعض النسخ عشائركم» (المجلسي، ١٤٠٤هـ، ١٧٩/٩). وهذ نوع من التقارب الإنساني، واحترام الذات الإنسانية للآخر، ومراعاة للجانب النفسي الخاص به يقرب المسافات، ويمتنع التناحر بين الفئات المختلفة التي تعيش في بيئة اجتماعية واحدة.

ومن الأحاديث التي تحدثت عن آليات التعامل مع الآخر، ومراعاة الجانب النفسي عنده الحديث الآتي:

٢. «عَنْهُ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ الْمُفَضَّلِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً قَالَ قُولُوا لِلنَّاسِ أَحْسَنَ مَا تُحِبُّونَ أَنْ يُقَالَ فِيكُمْ» (الكليني، ١٤٠٧هـ، ١٦٥/٢).

فقد تضمن هذا الحديث مهمة، أسس منهجاً دقيقاً في التعامل مع الناس عن طريق معاملتهم كما نحب أنْ نُعامل، وأنْ نقول لهم ما نحب أنْ يقال لنا. ومؤكد أنّ هذه القاعدة تؤسس لنظام سليم من التعايش لا يتجاوز فيه الشخص على الآخر، ولا يجرح مشاعره ولا يقول له ما يسيء إليه والمقياس هو الإنسان نفسه فلا يخفى عن الإنسان ما يحب وما يكره، فما نحبه لا نتورع بقوله، وما نكرهه نتجنب ذكره.

وفي هذا التوجيه صورة واضحة لمراعاة الجانب النفسي للإنسان الذي يريد الله عزّ وجل أنْ لا نسيئ إليه ولا نمس مشاعره بسوء بالقول أو الفعل لذلك كان المقياس دقيقاً، الرضا بالقول لنفسك من عدمه.

وقد اختلفت الأقوال في مسألة من يدخل حيز هذه القاعدة اختص بها الله عزّ وجلّ المسلمين دون غيرهم أم أنّ هذا الأمر شامل للجميع مسلمين وغير مسلمين، وهذا ما أشار إليه المجلسي في قوله: «ثم اختلف فيه من وجه آخر، فقيل: هو عام من المؤمن والكافر، على ما روي عن الباقر عليه السلام. وقيل: هو خاص في المؤمن»(المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٦٨/ ٣٠٩).

في حين نقل المجلسي في موضع آخر عن تفسير العسكري أنّ هذا الحكم عام ولكن فيه تفصيل إذ قال:«وفي تفسير العسكري عليه السلام قال الصادق عليه السلام:"قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً" أي للناس كلهم مؤمنهم ومخالفهم، أما المؤمنون فيبسط لهم وجهه، وأما المخالفون فيكلمهم بالمداراة لاجتذابهم إلى الإيمان، فإن بأيسر من ذلك يكف شرورهم عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين.» (المجلسي، ١٤٠٤هـ، ٩/ ٥).

وفي كل الأحوال تبيّن أنّ الأحاديث التي مرّ ذكرها تشير إلى ضرورة التعامل مع جميع أبناء المجتمع بطريقة تحافظ على منزلتهم، وتحترم مشاعرهم، ولا تسيئ إليهم بالقول أو الفعل ليسهم هذا السلوك ببناء مجتمع مستقر تسوده الألفة والمحبة والاحترام المتبادل بين جميع أبنائه.

وبعد شرح الأحاديث التي مرّت نعمد إلى ذكر أهم ما ترشد إليه وهي على النحو الآتي:

١. عدم الإساءة إلى الآخرين وذكر ما يعيبهم من الصفات التي يكرهون.

٢. التسارع في عمل الخيرات ليكون التنافس بين أبناء المجتمع في عمل الخير من جميع الجوانب.

٣. التواصل الاجتماعي بين أبناء المجتمع لتعزيز الألفة والتقارب بين جميع أطيافه.

٤. التحلي بالصفات التي تجلب سمعة طيبة للدين الذي ننتمي إليه والابتعاد عن السلوك الذي يسيء إلى سمعته.

٥. اعتماد مبدأ إخفاء خصوصيات عبادتنا، وعدم البوح بها في كل زمان ومكان.

٦. معاملة الناس كما نحب أن نعامل على مستوى الفعل والقول.

النتيجة

بعد الطواف في الأحاديث الشريفة والنصوص الواردة بالمعصومين (عليهم السلام) التي اخترناها كنماذج وأدلة على مراعاة الجانب النفسي تبيّن لنا أنّ الثقافة الإسلامية تمثل منهجاً إنسانياً متكاملاً، يدقق في أدق التفاصيل، ويضع ضوابط لكل التعاملات بين أبناء المجتمع الإنساني، وفي كل تلك الضوابط نتلمس الجانب الإنساني الذي يراعى فيه خصوصيات الناس، ويحترم عواطفهم ولا يؤذي مشاعرهم، ويؤسس إلى فلسفة مفادها أنّ هذا النهج الإنساني يحقق ثماره في الحياة الدنيا قبل الآخرة، ويتسبب في تحقيق التماسك الاجتماعي داخل المجتمع الإنساني الواحد، ويحقق الغايات التي يسعى الدين الإسلامي إلى تحقيقها وهي نشر التعاليم الدينية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ عدّ هذا النوع من التعامل طريق مثالي للتعامل مع الناس، وهو الوسيلة الأمثل لتحقيق ما يبتغيه الفرد، فضلاً عن أنّه طريق إلى جلب السمعة الطيبة إلى الدين الإسلامي وأفكاره ومبادئه.

وليس النظر إلى الجانب النفسي في ثقافتنا الإسلامية مقرّة على نحو العموم، إذ إنّها تدخلت في تفاصيل هذه المسألة وراعت دقائقها ورسمت ملامح التعامل الذي يؤكد عناية الدين الإسلامي بهذا الجانب في كل المناحي المتعلقة بها ابتداء من رعايتهم والرفق بهم، إلى حرمة المساس بهم وسبهم وذكر ما يعيبهم، إلى مخاطبتهم بالطريقة التي يرغب الإنسان أن يخاطب بها، مرورا بضرورة التواصل معهم ودراسة واقعهم النفسي، ومراعاته.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدل على رقي الدين الإسلامي، ورقي تعاليمه، وسمو مبادئه وأحكامه وأنّه بني على أساس إنساني غير مقتصر على الأحكام العبادية، والتعاليم الفقهية.

وهذا يمثل أعلى درجات مراعاة حقوق الإنسان واحترامه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الآمدي عبد الواحد بن محمد، د.ت، *غرر الحكم، ودرر الكلم*، قم، دار الكتاب الإسلامي.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٤١٤هـ)، *لسان العرب*، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الحسيني الزبيدي، محمد مرتضى،(١٤١٤هـ)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، بيروت، دار الفكر.
- الطريحي، فخر الدين بن محمد، (١٤١٧هـ)، *مجمع البحرين*، الطبعة الثالثة، طهران، المرتضوي.
- الطوسي، محمد بن الحسن.(١٤١٤هـ)، *الأمالي*، الطبعة الأولى، قم، دار الثقافة.
- العاملي، محمد بن حسن، (١٤٠٩هـ)، *تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة*، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
- العاملي، محمد بن حسن، (د.ت)، *الفصول المهمة في أصول الأئمة*، قم، مؤسسة الإمام الرضا عليه السلام للمعارف.
- العذاري، السيد شهاب الدين، (د.ت)، *ملامح المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام*، مركز دار الرسالة، سلسلة المعارف الإسلامية.
- الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي، (د.ت)، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، بيروت، مكتبة لبنان.
- الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق،(١٤٠٧هـ)، *الكافي (الإسلامية)*، الطبعة الرابعة، طهران، دار الكتب الإسلامية.
- المازندراني محمد صالح بن أحمد، (١٤٢٤هـ)، *شرح الكافي، الأصول والروضة*، طهران، المكتبة الإسلامية.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، (١٤٠٣هـ)، *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الجامعة*، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي،(١٤٠٤هـ)، *مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول*، الطبعة الثانية، طهران، دار الكتب الإسلامية.

- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي،(١٤٠٦هـ)، *ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخيار*، الطبعة الأولى، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، (د.ت)، *فيض القدير*، بيروت، دار المعرفة.
- النراقي، مهدي بن أبي ذر، (د.ت)، *جامع السعادات*.د.م: د.ن.
- بقية الله، *مجلة ثقافية*، العدد ٦، السنة السادسة، baqiatollah.net.

الحكيم، صادق محمد باقر، تأملات في واقعنا المعاش، clayboard.com.

- Al-Amdi Abd al-Wahid bin Muhammad, D. T. Gharar al-Hikam and Durar al-Kalam, Qom, Dar al-Kitab al-Islami.
- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram, 1414 AH, Lisan Al-Arab, Beirut, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution.
- Baqiatollah, cultural magazine, issue 6, sixth year, baqiatollah.net
- Al-Husseini Al-Zubaidi, Muhammad Mortada, 1414 AH, Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos, Beirut, Dar Al-Fikr.
- Al-Hakim, Sadiq Muhammad Baqir, Reflections on Our Living Reality, clay board.com.
- Al-Tarihi: Fakhr al-Din bin Muhammad, 1417 AH, Al-Bahrain Council, third edition, Tehran, Al-Murtadawi.
- Al-Tusi, Muhammad bin Al-Hasan. 1414 AH, Al-Amali, first edition, Qom, House of Culture.
- Al-Amili, Muhammad bin Hassan, 1409 AH, Detailing the Shiite Means to Collect Sharia Issues, Qom, Al-Bayt Foundation, peace be upon them.
- Al-Amili, Muhammad bin Hassan, D. T., Important Chapters on the Origins of the Imams, Qom, Imam Reza, peace be upon him, Knowledge Foundation
- Al-Adhari, Al-Sayyid Shihab Al-Din, D.T., Features of the Educational Curriculum among the People of the House, peace be upon them, Dar Al-Resala Center, Islamic Knowledge Series.
- Al-Fayoumi Abu Al-Abbas Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Fayoumi, D. T., Al-Misbah Al-Munir fi Gharib Al-Sharh Al-Kabir, Beirut, Lebanon Library.
- Al-Kulayni, Muhammad bin Yaqoub bin Ishaq, 1407 AH, Al-Kafi (Islamic), fourth edition, Tehran, Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah.
- Al-Mazandarani Muhammad Salih bin Ahmad, 1424 AH, Sharh Al-Kafi, Al-Usul wal-Rawdah, Tehran, Islamic Library.

- Al-Majlisi, Muhammad Baqir bin Muhammad Taqi, 1403 AH, Bihar Al-Anwar Al-Jami'a Li'rar Akhbar Al-Imam Al-Jami'ah, Beirut, Dar Ihya' Al-Arab Heritage.
- Al-Majlisi, Muhammad Baqir bin Muhammad Taqi, 1406 AH, Malath al-Akhyar fi Understanding Tahdheeb al-Akhyar, first edition, Qom, Library of Ayatollah al-Mar'ashi al-Najafi.
- Al-Minawi Muhammad Abd al-Raouf, D. T., Fayd al-Qadeer, Beirut, Dar al-Ma'rifa.
- Al-Naraqi, Mahdi bin Abi Dhar, D. T., Jami' Al-Saadat.

Abstract:
This research aims to explain the consideration of the psychological aspect in the texts of the infallibles, peace be upon them, the importance of this subject, its causes, the consequences resulting from it, the philosophy of this matter and the motives for which our true religion seeks to establish this culture in Islamic society. All of these matters are achieved by collecting hadiths that carry these meanings, then explaining them to clarify the meanings they carry, and then extracting the most important things that can guide them so that these matters contribute to highlighting human care in our Islamic culture and contribute to intellectual awareness to spread the culture of affection, tolerance, and familiarity in Islamic society.

Keywords: texts, infallible people, aspect psychological.